@ 866 @ خبير بما تعملون) ^ من خير وشر ، فيجازيكم على ما علمه ، من النيات والأعمال . سورة التغابن ^ (يسبح ما في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير * هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وا بما تعملون بصير * خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير * يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون وا عليم بذات الصدور) ^ هذه الآيات الكريمات ، مشتملات على جملة كثيرة واسعة ، من أوصاف الباري العظيمة ، فذكر كمال ألوهيته سبحانه ، وسعة غناه ، وافتقار جميع الخلائق إليه ، وتسبيح من في السماوات والأرض بحمد ربها ، وأن الملك كله ، فلا يخرج عن ملكه مخلوق . والحمد كله له ، حمد على ما له من صفات الكمال ، وحمد على ما أوجده من الأشياء ، وحمد على ما شرعه من الأحكام ، وأسداه من النعم . وقدرته شاملة ، لا يخرج عنها موجود ، فلا يعجزه شيء يريده . وذكر أنه خلق العباد ، وجعل منهم المؤمن والكافر ، فإيمانهم وكفرهم كله ، بقضاء ا وقدره ، وهو الذي شاء ذلك منهم ، بأن جعل لهم قدرة وإرادة ، بها يتمكنون من كل ما يريدون ، من الأمر والنهي ، ^ (وا بما تعملون بصير) ^ . فلما ذكر خلق الإنسان المأمور المنهي ، ذكر خلق باقي المخلوقات ، فقال : ^ (خلق السماوات والأرض) ^ ، أي : أجرامهما ، وجميع ما فيهما ، فأحسن خلقهما . ^ (بالحق) ^ ، أي : بالحكمة ، والغاية المقصودة له تعالى . ^ (وصوركم فأحسن صوركم) ^ كما قال تعالى : ^ (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) ^ . فالإنسان ، أحسن المخلوقات صورة ، وأبهاها منظرا . ^ (وإليه المصير) ^ ، أي : المرجع يوم القيامة ، فيجازيكم على إيمانكم وكفركم ، ويسألكم عن النعم والنعيم الذي أولاكمد هل قمتم بشكره أم لم تقوموا به ؟ ثم ذكر عموم علمه ، فقال : ^ (يعلم ما في السماوات والأرض) ^ ، أي : في السرائر والظواهر ، والغيب والشهادة . ^ (ويعلم ما تسرون وما تعلنون * وا علم بذات الصدور) ^ ، أي : بما فيها من الأسرار الطيبة ، والخبايا الخبيثة ، والنيات الصالحة ، والمقاصد الفاسدة . فإذا كان عليما بذات الصدور ، تعين على العاقل البصير ، أن يحرص ويجتهد في حفظ باطنه ، من الأخلاق الرذيلة ، واتصافه بالأخلاق الجميلة . ^ (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم * ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى ا وا غني حميد) ^ لما ذكر تعالى من أوصافه الكاملة العظيمة ، ما به يعرف ويعبد ، ويبذل الجهد في مرضاته ، وتجتنب مساخطه ، أخبر بما فعل بالأمم السابقين ، والقرون الماضين ، الذين لم تزل أنباؤهم ، يتحدث بها

المتأخرون ، ويخبر بها الصادقون ، وأنهم حين جاءتهم رسلهم بالحق ، كذبوهم وعاندوهم . ^ (فذاقوا وبال أمرهم) ^ في الدنيا ، وأخزاهم ا فيها ^ (ولهم عذاب أليم) ^ في الدار الآخرة ، ولهذا ذكر السبب في هذه العقوبة ، فقال : ^ (ذلك) ^ النكال والوبال ، الذي أحللناه بهم ^ (بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) ^ ، أي : بالآيات الواضحات ، الدالة على الحق والباطل ، فاشمأزوا ، واستكبروا على رسلهم ، فقالوا : ^ (أبشر يهدوننا) ^ ، أي : ليس لهم فضل علينا ، ولأي شيء خصهم ا دوننا . كما قال في الآية الأخرى : ^ (قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن ا يمن على من يشاء من عباده) ^ فهم حجروا فضل ا ومنته على أنبيائه أن يكونوا رسلا للخلق ، واستكبروا عن الانقياد لهم . فابتلوا بعبادة الأشجار ، والأحجار ونحوها ^ (فكفروا) ! 2 2 ! (وتولوا) ^ عن طاعته . ^ (واستغنى ا) ^ عنهم ، فلا يبالي بهم ، ولا يضره ضلالهم شيئا . ^ (وا غني حميد) ^ ، أي : هو الغني ، الذي له الغنى التام المطلق ، من جميع الوجوه . الحميد ، في أقواله وأفعاله وأوصافه . ^ (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على ا يسير) ^ يخبر تعالى عن عناد الكافرين ، وزعمهم الباطل ، وتكذيبهم بالبعث بغير علم ، ولا هدى ولا كتاب منير . فأمر أشرف خلقه ، أن يقسم بربه على بعثهم ، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة ، وتكذيبهم بالحق . ^ (وذلك على ا يسير) ^ فإنه ، وإن كان عسيرا بل متعذرا ، بالنسبة إلى الخلق ، فإن قواهم كلهم ، لو اجتمعت على إحياء ميت واحد ، ما قدروا على ذلك . وأما ا تعالى ، فإنه إذا أراد شيئا ، قال له كن فيكون . قال تعالى : ^ (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء ا ، ثم نفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون) ^ . ^ (فآمنوا با ورسوله والنور الذي أنزلنا وا بما تعملون خبير) ^ لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث ، وأن ذلك منهم موجب كفرهم با وآياته ، أمر بما يعصم من الهلكة